مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- المركز الجامعي بغليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 06/ العدد: 03 (2020) - ص 247- 258

الحوار المسرحي بين الإنجاز الكلامي والبعد الحجاجي:
مسرح اللحظة لعز الدين جلاوجي نموذجًا

The theatrical dialogue between linguistic performance and the argumentative dimension Theater of the moment of Azedine Djelaoudji

نسيمة نورة[1]
nassima.noura@univ-tebessa.dz
جامعة العربي التبسي، تبسة/ الجزائر

فطومة لحمادي [2]
f.lahmadi1@univ-soukahras.dz
جامعة محمد الشريف مساعدية- سوق أهراس/ الجزائر

تاريخ الاستلام: 2019/09/10 تاريخ القبول: 2019/10/19 تاريخ النشر: 2020/06/01

ملخص البحث

يسعى هذا المقال إلى مقاربة الحوار المسرحي وصفًا و تحليلًا، لبيان مدى تحقق المقاصد الصّريحة و الضّمنية تبعًا لاستراتيجيات المتكلّم وكفاءته التّواصلية ، ورصد فاعليته وأثره على المتلقي.

لتتكشف لنا حقيقة الحوار المسرحي كخطاب موجه مؤسس على توليفة تكاملية بين آلية الحوار الحجاجي الإقناعي ،و إنجازية الأفعال الكلامية

الكلمات مفتاحية : الحوار المسرحي، أفعال الكلام ، القوة الإنجازية ، الحجاج.

ABSTRACT:

This article aims to describe and analyze the theatrical dialogue in order to scrutinize the degree of the realization of the explicit and implicit intentions according to the speaker's strategies and his communicative competence and to measure his efficiency to influence the receiver, to finally make sure of the reality of the theatrical dialogue as an oriented discourse based on complementary combinations between argumentative and persuasive dialogue and performativity of speech acts.

Keywords: theatrical Dialogue; speech acts ; performativity ; argumentation .

تُعتبر التداولية أهم المناهج على الإطلاق اهتمامًا بالكلام في بعده الاستعمالي أو الإنجازي، وطرق استخدام العلامات اللغوية بنجاح لتحقق مقصدية الرسالة التواصلية، والسياقات والمقامات المختلفة التي يَنْجَزُ فيها الحدث الكلامي ،فأصبح لزامًا على الباحث الوعي بجوهر الخطاب التداولي وأبعاده.

[1] المؤلف المرسل : نسيمة نورة

ويحتل الخطاب المسرحي موقعًا بارزًا في هذا المذهب اللساني المعاصر، لما يشمله الحوار من معاني الأداء والتلفظ وما يرتبط به من عناصر، فَيُمَكِنُنَا من رصد آليات التواصل اللساني وكفاياته، وأشكاله وطرق فهم الصريح منه والضمني.

فما سمات الحوار المسرحي التي تشكل بنيته وتمنحه تصنيفه ضمن الخطابات الأخرى؟ وما مدى إسهام الآليات التي يتوسلها طرفي الحوار لتحقيق المقاصد التأثيرية والإقناعية في منحه التفرد والتميز عن بقية الخطابات ؟ وإلى أي مدى تُسعف اللغة مستعملها بأدواتها لتحقيق كل ذلك ؟ ومن هنا برز اهتمامنا بهذا المبحث للدراسة والتحليل، انطلاقًا من اعتبار أهداف الحوار إقناعية تأثيرية، يسعى المتكلم من خلاله لتحقيق غايات تتماشى والسياقات التي تَحفُهُ وترفُده .

2.إنجازية الفعل الكلامي في حوار مسرح اللحظة :

1.2 تمهيد :

يخوض عز الدين جلاوجي تجربة خاصة أسماها « مسرح اللحظة » يراها باكورة فتوحات جديدة في فن المسرح؛ حيث زاوج بين السرد والمسرح، فكان مسرح اللحظة محاكاة للحياة؛ ليعكسها بأحداثها ومفارقاتها وتنوع الشخصيات فيها وتباين أفكارهم وتوجهاتهم ورؤيتهم للوجود، وأبرز تفاعلهم مع تلك الحياة سلبًا أو إيجابًا ،ليظهر ذلك في انفعالاتهم وتأثيرهم على المجتمع والواقع ؛فصور عز الدين جلاوجي الحياة في لحظات قصيرة ،فكانت نتيجة تلاقح السرد والمسرح مسرديات قصيرة، عددها خمس عشرة مسرديةً تناول فيها جوانب الحياة على مختلف مستوياتها، فتراوحت المسرديات بين الاجتماعية والسياسية محاكاةً للواقع المعاش بكل تفاصيله .

وقد جسد بذلك التنوع عمق التجربة الإنسانية، و بُطن الخطاب بنقد بناء ذكي لكل الظواهر السلبية في المجتمعات العربية على بساطتها؛ فكانت مسردية (الطريق)رحلة وجودية عميقة عكست عبثية الحياة وتعقد تفاصيلها، ليقحمنا في صلب الحياة الاجتماعية مبرزًا أحد أهم نتائج الحياة العصرية التي انعكست بظلالها على استقرار الأسر وجسد الأجواء الضبابية التي تلفها ،وما تمخض عنها من مشكلات غيرت من الأطر الفكرية والقناعات الشخصية والأخلاق والمبادئ والموروث الثقافي، وتجسد ذلك في طيات عدة مسرديات أهمها مسرديات (عاشقان، الحنين، الامتداد، عزيزي، المتاهة، وأنا ، المزاج)،حيث تناول العديد من القضايا الاجتماعية، وكما سبق وأشرنا ينتقد عز الدين جلاوجي في مسردياته بعض السلوكيات و طرق التعامل السلبية، وتجلى ذلك في مسردية (الأحدب)، (تكريم)؛ حيث الدعوة لنبذ النظرة السطحية والسخرية ممن يعانون من عيب شكلي أو نقص ما ،كما عكس صورة المثقف الذي أقصي وأصبح يعيش على هامش الحياة متفرجًا لا فاعلًا ، وسعى المبدع بذلك لنشر الوعي الفكري وتهذيب السلوك وترسيخ القيم النبيلة والأخلاق الحميدة التي أصبحنا نفتقدها رغم تأصالها وتجذرها فينا، وبرزت روح العصر في «مسرح اللحظة» بموضوعات سياسية، فعكست مسردية (حضرتي وحضراته)علاقة الحُكام بالشعب، والظلم المسلط على الشعوب، ويظهر ذلك في مسردية (الزيف). ليكون بذلك مسرح اللحظة بتركيزه على أهم قضايا المجتمع وكشفه لأهم الجوانب السلبية فيه خطابًا مسرحيًا نقديًا يسعى لإنجاز أفعال وينشد التأثير التوجيهي والتقويمي الآني والمستقبلي.

2.2 إنجازية الفعل الكلامي في حوار مسرح اللحظة :

لضرورة منهجية يتعين علينا أولًا البدء بعرض بعض المفاهيم الأساسة في الآتي:

أ . الاستلزام التخاطبي : (l' implicitation conversationnelle)

وهي نظرية خاصة بكيفية الاستعمال اللغوي أرسى دعائمها جرايس (grice)[1] الذي ركز على أسس تداولية الخطاب، بأخذ كل الأبعاد المُؤَسِسَة لعملية التخاطب في الاعتبار؛ حيث ميز بين القوة المُدركة من الفعل المنطوق والتي يستدل عليها بصيغة الفعل ، والقوة التي تُدرك من المقام مع عدم وجود قرائن بنيوية دالة عليها في صورة الملفوظ، وهو ما يمثل الفعل الغير المباشر عند أوستين (austin ا٠) وما عبر عنه ف. أرمونغو (F٠ armengau)بقوله: « في أفعال اللغة غير المباشرة يبلغ المتكلم المستمع أكثر مما ينطق به بالفعل ،مركزًا على خلفية معطيات مشتركة ومتبادلة ،لسانية وغير لسانية ،ومستندًا كذلك إلى القدرة الاستدلالية العقلية للمستمع »[2]، فالمعنى لا يُفَرض، بل يُرَكَبُ على(الأقل جزئيًا) بواسطة السامع ؛ بصوغ افتراض واختباره عملية عمل معنى على أساس التشابه والاحتمالية [3] وبالتالي فالمتلقي فاعل إيجابي في تشكل المعنى عبر انتخاب افتراضات محتملة ومناسبة.

يمكننا القول أن الاستلزام التخاطبي آلية من آليات إنتاج الخطاب وعمل تعاوني بين طرفي العملية التخاطبية؛ فالمتكلم الذي يحسن توظيف أدوات اللغة يملك القدرة على أن يعني أكثر مما يتلفظ فَيُضَمنُ الملفوظ قصده والمتلقي يعي و يفهم ذلك دون تصريح المتكلم بقصده فيكشف المتلقي المقتضيات في أفعال اللغة غير المباشرة، ويؤولها بدقة متناهية .نحو: «**خيرًا هل ضيعت ملامحي؟** »[4]. فالملفوظ إنجازي ،استفهام ، لكن قوته المستلزمة التي تُفهم من السياق هي التعجب.

فالأفعال الكلامية قد تخرج عن أغرضها الأصلية الموضوعة لها لتحقق أغراضًا تداولية مختلفة تفرضها استراتيجية المتكلم ،نحو الملفوظ التقريري الوصفي:« **غبت عنا دهًرا يا رجل ،أين كنت؟ أهكذا تهون عليك صداقتنا ؟** »[5].الذي تضمن أفعالًا إنجازية تحمل قوى مستلزمة تدرك من السياق؛ فالنداء كان بأداة النداء للقريب ملحقة بنكرة مقصودة (يا رجل)للفت انتباه ذلك الصديق ، وقد خرج فيه الاستفهام عن غرضه الأصلي « طلب الفهم ،أي طلب العلم بشيء لم يكن معلوما. »[6] ليحمل قوة مستلزمة تمثلت في اللوم ؛ فالمتكلم يوجه خطابه إلى صديقه المقرب الذي غاب عنه مدة فعبر عن احساسه بطول زمن افتراقهما وافتقاده اياه موظفًا لفظ (دهرًا) المحمل بشحنة دلالية دالة على فترة زمنية طويلة جدًا.

ونجد الملفوظ :« **يا معتوه، النظافة تعني هواء نقيا، وتعني وعيا وعقلا نظيفا، وتعني رفضا وتمردا، هذا مجتمع لا يستحق إلا القاذورات، ليصير أقرب إلى الخنافس والفئران.** »[7] قد تضمن أفعالا كلامية إنجازية، وقد خرج النداء عن غرضه الأصلي فهو « يُقتضي به أولا من الذي نوُدي الإقبال بسمعه وذهنه على الذي ناداه »[8] ،حيث استعملت أداة النداء للقريب(يا) وألحقت باسم نكرة(معتوه) ليفيد التحقير، وليشحن الملفوظ ويُحمل بقوة مستلزمة ويفيد التهكم.

ب. أفعال الكلام :(les Actes de langage)

يعد مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية وفحواه أن « كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وعلاوة على ذلك يعد نشاطًا ماديًا نحويًا يتوسل بأفعال قولية لتحقيق أغراض انجازية كالطلب والأمر والوعد والوعيد ...إلخ، وغايات تأثيرية تخص ردود أفعال المتلقي كالرفض والقبول[9]،وقد أُسس هذا المفهوم على يد أوستين (ا٠ austin) وأقام بناءه سيرل (j. searale) ،وحدد أطره وضبط معالمه بول

جرايس (paul grise)[10] ، ويؤكد ذلك ما ذهب إليه ديكرو(Ducrot)بأن اعتبر كل نشاط يقوم به شخص معين ، يمكن اعتباره فعلًا أو عملًا [11] ،ويعنى هذا أن كل قول يعتبر عمل فيغدو التلفظ انجازًا.

كما قام أوستين بالتمييز بين الأقوال الوصفية والأقوال الإنشائية ؛فالوصفية عنده هي الأخبار المحضة التي تحتمل الصدق والكذب ،أما الأقوال الإنجازية فهي التي تنجز أعمالًا في الكون [12]، وبالتالي وببساطة الأولى تقدم حقائق وصف أحداث والثانية تنجز أفعالًا .

فالملفوظ التقريري الوصفي نحو: « **عزيزي صار يلهيني عن كل شيء، اشتريته من روسيا بأغلى الأسعار، تنافست في المزاد مع خليجي، لكني والحمد لله فزت عليه، منذ دخل حياتي تغيرت جذريا** »[13]، يكون صحيحًا إذا كان هناك تطابق بينه وبين الواقع الفعلي وانطبق مع الوضع الحقيقي ،و يكون كاذبًا عند مخالفة الحقيقة والواقع، في حين الملفوظ الإنجازي:« **سنحضر لنشارككم أفراحكم التي هي أفراحنا** »[14] بمجرد أن يتلفظه المتكلم يكون قد أنجز فعلًا وقبل الدعوة والتزم بالحضور.

وتنقسم الأفعال الإنجازية إلى صنفين: أفعال إنجازية صريحة مباشرة : وهي ما يتوافق فيها الفعل اللفظي مع الفعل الإنجازي و أفعال إنجازية غير صريحة غير مباشرة فعلها غير ظاهر وفعلها الإنجازي يُفهم من السياق[15]، فنجد في الملفوظ الإنجازي «**ويسعدك أن أوضع في الدائرة الحمراء؟ يقينا تريدين سجني لتعبثي كما تشائين** »[16] يحتوي فعلًا إنجازيا مباشرًا بصيغة الأمر الصريحة ، في حين نجد فعل الأمر في الملفوظ :« **لابد أن نخرج الآن، أنت لم تغيري ثيابك، ظننتك كنت عند الحلاقة**.»[17] ،وكذا الملفوظ «**يجب أن نستمر، أحس أن نهايته ستكون قريبة**»[18] ،حيث يُدرك الأمر من سياق الكلام وبناء الملفوظ ، فهو فعل غير مباشر يرد بلفظ الوجوب.

ويؤكد أوستين تزامن ثلاثة مستويات للفعل الكلامي عند التلفظ بنسب متفاوتة ، وهي التي تشكل أقسام الفعل الخطابي ‹‹فعل قولي، وفعل تأثيري ، وفعل إنجازي »[19] فهي تشكل عناصر أساسة لبنات الفعل الخطابي وسنوضحها في الآتي:

1.**فعل القول** :(**Acte locutoire**)

تضمن فعل القول ثلاثة جوانب يستدعي الواحد منها الآخر بشكل تراتبي : الصوت والتركيب، والدلالة وقد شرحها في الاستاذ يحي بعطيش في الآتي:

أ.**الفعل الصوتي**: (**Acte phonétique**)و يتشكل التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة.

ب. **الفعل التركيبي**: (**Acte phatique**) ويتمثل في تأليف ماأنتجه النسق الصوتي من مفردات لغة ما طبقا لقواعدها النحوية .

ج. **الفعل الدلالي**: (**Acte rhétique**) ويُراد به استعمال تلك المفردات التي انتظمت في تراكيب ،حسب دلالات وإحالات معينة ؛أي ربط الجمل بمتكلم ومستمع [20]

2.**الفعل الإنجازي**: (**Acte illocutoire**)

ويُقصد به الفعل المتضمن في القول؛ فالمتكلم حين يتلفظ بقول ما، فهو ينجز معنى قصديًا ، بغرض التأثير والتغيير، لحمل المتلقي على اتخاذ موقف أو تغيير رأي أو القيام بفعل، فقد يطلب أو يوجه المتكلم المتلقي أو يؤثر في مشاعره وأفكاره وسلوكه ، وهذا ما يُعْرَفُ بالقوة الإنجازية (Forc illocutoire)، وفي هذا السياق أشار ف.ريكاناتي(f

Récanati) إلى أن « للملفوظ قوة أمر إذا كان لدى المتكلم قصد إعطاء أمر للمستمع من خلال تلفظه ،وتكون له قوة اقتراح إذا قصد المتكلم من خلال قوله اقتراح شيء ما على المستمع... »[21]، و يشترط أوستين لتحقق هذا المعنى الإنجازي توفر «نهج مُتعارف، مطرد ومتواضع عليه تكون له بعض الاثار المتفق عليها يتضمن هذا النهج التلفظ ببعض العبارات من لدن الاشخاص في ملابسات معينة »[22] فالقصد وحده لا يكفي ليكون الفعل إنجازيًا ، بل يتطلب ذلك السياق العرفي. ونستشف من ذلك أهمية وجود اتفاق بين أفراد المجموعة الواحدة ضمن المجتمع بمؤسساته عبر الشفرة المشتركة بين المتخاطبين، ونوضح هذا بالملفوظات الآتية :

«ما أحمقك! عقلك قاصر جدا اخترت اليمين لأنها سيدة، تمثل القوة والقدرة على تحقيق الآمال، بكل صراحة يا رفيقي أنا أتفاءل بها كثيرا »[23] ، ملفوظ إنجازي، تعجب، يحمل قوة إنجازية هي الاستهزاء والازدراء ، وكذا الملفوظ:« **ما نفعل، كلاب يحكموننا بالحديد والنار، ولكن سنثور عليهم.»** [24] حيث الملفوظ الإنجازي يتضمن فعل إنجازي غير مباشر، استفهام ، تكمن قوته المستلزمة في التحسر .

3.**الفعل التأثيري**: (**acte perlocutoire**)

ويُراد به الأثر الذي يخلفه فعل القول أو الإنجاز على المخاطب، وهو ما يظهر عادة في رد فعله كأن ينفعل بالقول فينزعج أو يغضب أو يمتثل له[25] وذلك أن المتكلم يريد من خلال هذا الفعل التأثير في المتلقي و «التسبب في نشؤ آثار في المشاعر والفكر »[26] حيث يكون فعل القول محملًا بمقاصد معينة في سياق محدد والأفعال مشحونة بقوة إنجازية بغرض إحداث أثر(effet) لدى المتلقي، شيء . ونوضح مستويات الفعل الكلامي في الملفوظ الآتي: « **إذن عليك أن تمططه لتزيل عيبه، أو ضعه أفقيا تحت ضاغط، أو لا أعرف، لن تزيل عاهته، هو أحدب أحدب عليه اللعنة»**[27] ، فالملفوظ يتضمن أفعالا قولية وتتمثل في الهيئة التركيبية لهذا الملفوظ بأصواته المنطوقة ،الخاضع للقواعد النحوية والصرفية ، ويحتوي جملة من الأفعال المتضمنة في القول نحو (تمططه ، ضعه)، حيث يطلب المتكلم من المتلقي القيام بجملة أفعال، لكنه يشكك في قدرته على تغيير شكل ذلك الأحدب المسكين ، فالفعل التأثيري المراد تحقيقه هو تغيير قناعات المتلقي نحو تلك الشخصية بدءا من احتقاره للأحدب .

وقد قسم أوستين الأفعال الإنجازية إلى خمسة أقسام ،حسب ما يُقْصَدُ بها من أغراض إنجازية : الحكمية ،التمرسية ، التكليفية ،العرضية ،السلوكيات[28] ، وفيه تقارب مع التقسيم الذي أورده سيرل، والذي نلخصه في الآتي[29]:

1.**أفعال الإثبات**:(**Les représentatifs**)

وهي الأفعال التي تفيد تأكيد، وإقرار المتكلم لبعض الوقائع والأحداث في الواقع الخارجي، وتلزمه بصدق القضية المعبر عنها ، غرضها الإنجازي هو الوصف وتشمل: التأكيد، الوصف التقرير، نحو :« **لم أحس يوما أن لي زوجة إلا على الأوراق، دوما أحلم بغيرها، ومن يدري لعلها الشيطانة تحلم بغيري، الأولاد بيننا مأساتي الكبرى، آآآآه، أأأأففففف.**» [30] ، فالملفوظ تقريري وصفي ، يقر فيه المتكلم بشعوره نحو زوجته ويفصح عن شكوك تراوده ، تكمن قوته في إبراز ملامح هذه شخصية ذلك الزوج الغير متزنة التي تعاني من الشك المرضي وسوء الظن ليطال حتى أقرب الناس إليها .

2. الأمريات: (Les directifs)

ويشمل هذا الصنف كل الأفعال التي تحتوي على قصد التوجيه والتأثير السلوكي تمثل ؛ فالمتكلم يحاول توجيه المتلقي لإنجاز فعل ما وقد يكون ذلك بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة وتشمل ،الطلب ،السؤال ، الأمر ، النهي نحو: «**مستحيل أنت أناني، لن نفترق، بدأنا معا ويجب أن ننتهي معا، نفوز معا أو نهلك معا.**»[31] ، فالمتكلم يأمر المتلقي بفعل انجازي غير مباشر ليغير ردة فعله ، والاستفهام في : «**غبت عنا دهرا يا رجل، أين كنت؟ أهكذا تهون عليك صداقتنا؟**»[32] فظاهر الملفوظ استفهام ، لكن المتكلم يحمل المتلقي على إنجاز فعل السرد ، ليعرف ما حدث لصديقه خلال غيابه عنه .

3. أفعال تعبيرية: (les expressifs)

وهي الأفعال التي تعبر عن الجانب الوجداني والحالة النفسية للمتكلم، وتشمل الأفعال التي تتضمن موقفاً يُتَخَذُ في مقام محدد كالترحيب ،الشكر، التهنئة ، الاستحسان ،التوبيخ ...إلخ، نحو الملفوظ : «**بئس من يفعل بك هذا، مازلت في ريعان شبابك، عليك أن تعيش حياتك** »[33] الذي تضمن (بئس) التي أفادت الإستنكار. والملفوظ: « **أ هلا أهلا جارنا العزيز، تفضل تفضل**»[34] الذي تضمن فعلا كلاميا مباشرا من التعبيرات (أهلا) ، الذي أفاد الترحيب.

4.الوعديات:(Les comissifs)

هي الأفعال التي يلتزم المتكلم فيها من خلال النطق بفعل ما في الزمن الحاضر أو المستقبل ، وتشمل: الوعد ، الوعيد ، الالتزام ، القسم ، التعهد ، والوصية نحو الملفوظ الإنجازي: «**تبا لهم، تفرقوا علي ويريدون ثروتي، أقسمت أن أصرفها علي وعلى عزيزي هذا، ولن ينالوا منها دينارا واحدا.** »[35] حيث تتوعد و تقسم السيدة الثرية بحرمان أبنائها وتخص نفسها وكلبها بكل ثروتها.

5. أفعال إعلانية:(Les déclaratifs)

ويقصد بها إعلان المتكلم عن إنجاز فعل ، والقيام بتغيير ما على مستوى العالم الخارجي وغايتها « إحداث تغيير عن طريق الإعلان وتشمل الأفعال الدالة على ذلك مثل : الإعلام، الإخبار، الإعلان »[36] نحو:« **سأكسر وجهك أيتها الضفدعة إن فكرت في الذهاب إلى حفل هذا الأحمق.** »[37]، فالملفوظ الأنجازي، وعد، يعلن فيه الزوج ويتوعد بكسر وجه زوجته إن خالفت أوامره ،وكذا الملفوظ الإنجازي: « **لا تبالي يا صديقي، مجرد أمراض بسيطة، والأدوية متوفرة، لا تنس سأحمل عنك الفقر والجوع والمرتبة الهينة.** »[38] حيث يعلن المتكلم بعد ابرام اتفاق بينه وبين المتلقي بتحمل الفقر وتبعاته من جوع ومرتبة متدنية.

3.البعد الحجاجي في حوار مسرح اللحظة :

1.3 الحجاج(Argumentation):

يعتبر الحجاج القوة اللغوية التي تمكن المتكلم من التأثير في المتلق ؛ فيرى ديكرو (Ducrot) ، وأنسكومبر (Anscombre) أن الخطاب ليس فقط وسيلة بل غاية أيضا فهو وسيلة إخبارية تكمن غايتها في التأثير على الغير، وهذه العملية التأثيرية هي التي تدعى الحجاج، وقد ربط ديكرو الحجاج بما أسماه الاستنتاج كفعل كلامي يستلزم تحقيقه إنتاج الكلام والتلفظ بقول من طرف المتلقي ، وليس ذلك الفعل النفسي الذي يؤسس اعتقاد حول بعض

الإشارات[39] ، فالمتكلم يقدم قول أو مجموعة أقوال وهدفه حمل المتلقي على الاعتراف بقول أو أقوال اخرى و هذه العملية ليست بسيطة بسبب تداخل عوامل لسانية وأخري غير لسانية لتحديد الدلالة بدقة.

لذا حصر ديكرو وأنسكومر الحجاج داخل اللغة فقط فبالنسبة إليهما كل تلك الحجج المستعملة من طرف المخاطب تكمن داخل أبنية اللغة دون سواها، حيث تحقق هذه الوظيفة الحجاجية مختلف الروابط الحجاجية (Les connecteurs) وهي التي تربط بين حجتين أو أكثر ومنها بل ، لكن حتى ،لاسيما ،إذن ، لأن ، بما أن ،إذ...إلخ ، والعوامل الحجاجية (Les opérateurs) وهي التي لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج) ، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية وتضم أدوات من قبيل ربما ، تقريبا ، كاد ، قليلا، كثيرا، ما ... إلا، وجل أدوات الحصر[40] .

وتأسيسًا على ما سبق نخلُص إلى أن الحجاج آلية تواصلية غرضها الإقناع ، يتوسل فيها المتكلم حججًا قصد الوصول لنتيجة تتساوق وتلك الحجج، ويشتغل عبر إحداث سلسلة من الروابط ضمن الخطاب، تُستعمل فيه القوة اللغوية للتأثير في المتلق .

ينخرط طرفي الخطاب في دائرة الحوار ليبرزا الاستعمال الفعلي و التداولي للغة الكفاءة وتحقيق مقاصد الخطاب الظاهرة و الضمنية، ليعكس ذلك الكفاءة الموسوعية والكفاءة التواصلية لديهما، فالمتلقي يفك شيفرة الملفوظ من خلال القرائن اللغوية والمقام التخاطبي « بتعقبه بمعونة القرائن المقامية و المقالية »[41] ، تلك العناصر التي تسهم في تشكل واشتغال الخطاب.

يدور حوار في مسردية "حنين " بين الأم وابنها ليتأسس التبادل التخاطبي على تقديم الحجج للتأثير في الأخر سعيًا لتغيير موقفه كما يعتمد طرفي التخاطب على قوة الفعل الإنجازي .

«أعرف أيها الوجيه، يا صاحب الثراء، أنك لا ترغب في أن تكون أمك مجرد فلاحة، أعرف أنه يزعجك هذا أمام الطبقة التي تنتمي إليها.

-لا أماه، لا يذهب بك الظن بعيدا، أريد راحتك. -راحتي هنا، قلتها لك ألف مرة راحتي هنا. -ولمن بنيت أنا ذلك القصر المشيد؟ -لك ولزوجتك و أولادك. -نحن الأربعة يكفينا جناح فيه، وما تبقى تسكنه العفاريت؟ حدائقه فسيحة، ومياهه جارية، وفيه لك كل المتعة و الراحة. -لا تعاندي، يجب أن تذهبي معي، كيف تكون راحتك في هذا الخراب؟ -خراب؟؟ تبتسم بسخرية وهي تقلب عينيها في المكان _هذه جنتي، هذه جنتي، في هذا البيت القصر ولدت ونشأت، هنا كنت أدرج وأبكي وأضحك، هنا طاردت فراشات أحلامي، ونسجت على نولها فساتين آمالي »[42]

ففي هذا المقطع نلمس بوضوح كيفية اشتغال آلية الحجاج و قوة الأفعال الإنجازية لتحقيق أفعال تأثيرية على المتلقي وإقناعه ؛حيث نجد التبادل التخاطبي بين الأم المسنة وابنها الوحيد الذي غادر حياتها البسيطة وجاء يحاول إقناعها بالعيش معه في منزله الفاخر، لكنها تدافع بشراسة عن حياتها في منزلها الذي استحال لرمز لوجودها حيث تعيش مع ذكرياتها ،تتأرجح روحها بين واقع وحدتها والمقبرة التي تجمعها بذكرياتها مع أحبتها الموتى، فيبرز الحجاج كوسيلة استعملها كل منهما لإقناع الأخر ؛ فتورد الأم ملفوظها التقريري الوصفي معلنة استيائها من ذلك الابن الذي تنكر لعيشته البسيطة وأصبح يخجل من انتمائه للريف، لتخاطبه رغم حضوره في المقام التخاطبي بأدوات النداء (أيها، يا)، لغرض تداولي يناسب مقام اللوم ليحمل الملفوظ دلالة الازدراء و الاحتقار ،

ليبدأ التناوب بينهما في تقديم الحجج لبلوغ الهدف، فيعرب المتلقي في ملفوظه التقريري عن رغبته في توفير الراحة لتلك الأم المسكينة(أريد راحتك) لكنها تواجه حجه بتفنيدها فراحتها في منزلها محيلة عليه (راحتي هنا) لتقيد كل الافتراضات وتقصي كل احتمال أخر، وليقنعها يورد الابن مجموعة من الحجج المتساوقة لإقناعها : (**ولمن بنيت أنا ذلك القصر المشيد؟ ،نحن الأربعة يكفينا جناح فيه، وما تبقى تسكنه العفاريت؟ حدائقه فسيحة، ومياهه جارية، وفيه لك كل المتعة والراحة**)، حيث يورد ملفوظه الإنجازي، استفهام، تكمن قوته المستلزمة في التعجب والاستغراب، ليحمل قوة حجاجية ،عله يحدث فعلًا تأثيريًا في نفس الأم ويلين قلبها، ويدعم ذلك بتعزيز ملفوظه بحجج قوية تمثلت في تعداد مزايا منزله:(حدائق فسيحة، مياه جارية ، مبعث للمتعة والراحة)، ليشعر الأم بالاختلاف الكبير بين الخراب الذي تعيش فيه وحياة الرفاهية التي ستعيشها في منزله الفاخر ، لكننا نلمس فشل تحقق مقاصده فيوظف ملفوظ إنجازي ، أمر ، الاستفهام ، تكمن قوته المستلزمة في الطلب و التوسل لمغادرة ذلك الخراب الذي تعيش فيه، لترد الأم و تواجهه بمجموعة حجج قوية تمثلت في مجموعة نعوت ألحقتها بمنزلها البسيط محيلة عليه بأسماء الإشارة للتأكيد على القصد ولإعلاء مكانته (هذه جنتي، هذا البيت القصر)

فنجد أن هذا الحوار المسرحي شكل خطابًا إقناعيًا توسل فيه المتكلم آلية الحجاج المنطقي ، باستعمال الحج المنطقية لوجود القصدية وكذا التدرج في الانتقال من العام إلى الخاص ضمن السياق اللغوي ، فالأم في ملفوظها التقريري بينت حكما عاما وحقيقة كلية(**هذه جنتي**) فالمنزل البسيط جنتها لتتدرج في ذكر المراحل العمرية التي احتضنها بجدرانه (**ولدت، نشأت، أدرج**)،لتنتقل لتوظيف الأضداد لتقوية المعنى (**أضحك ،أبكي**) ودعم حججها وخطابها الإقناعي كما صورت المعنى وجعلت القول بليغًا بملفوظها التقريري الوصفي: (**هنا طاردت فراشات أحلامي، ونسجت على نولها فساتين آمالي**)فها هي أحلامها تطير كفراشات وهي تنسج على خيوط نولها الوهمية وتستحيل الآمال لكائنات حية تتزين بالفساتين لتكون تلك الصور الجميلة والبليغة التي استعارتها أحد وسائل الاقناع الحجاجية فكيف لها أن تغادر منزلا يجمع كل هذا .

«أحلام ..آمال. -نعم، كان جدك -رحمه الله- حين يسمع صياح الدجاج وقد طاردته كأنما أخوض معه معركة حامية الوطيس، كان يخرج عند الباب دون أن يكمل قهوة المساء، يقف عند الباب. -يلوح بخيزرانه وعيناه متوهجتان: أين أنت أيتها العفريتة، سأكسر عظامك؟»[43]

ليتواصل تساوق الحجج ويرد الابن متعجبًا وربما متهكمًا من كلام أمه وكأنه يقول أي آمال وأحلام تملكين في هذا الخراب. وتواصل هي سرد ذكرياتها في ملفوظ تقريري وصفي،تستحضر فيه ذكريات غالية على قلبها جمعتها بوالدها المتوفي و الذي أبرزت من خلالها تعلقه وشغفه الكبيرين بها، فالملفوظ الإنجازي (**أين أنت أيتها العفريتة، سأكسر عظامك؟**)، استفهام ، يتضمن وعد وتهديد ،فالوالد يخاطب ابنته ممازحًا وينادي بأيتها العفريتة ، فكل تلك الحجج المتساوقة تتضافر لتقوي الجانب الإقناعي في خطابها .

ويتضح الحجاج في التبادل التخاطبي الآتي:

« . الطريق لم ينته ، لقد تعبت . يجب أن نستمر ،أحس أن نهايته ستكون قريبة . وأنا أحس أنها بعيدة ،أنا تعبت . اشرب ،اشرب ،تكاد تموت ظمأ . لا تخش علي صديقي، أنا صنديد ، وطريقي يجب أن أقطعه . لا تقل هذا ،لا تقل هذا . لا نهاية لهذا الطريق ، ولكنه طريقنا معا ، وسنقطعه معا ، حتى نصل إلى الهدف »[44]

فهذا المقطع التخاطبي يُظهر كفاءة طرفي الحوار في التبادل الحواري ومهارة توظيف الحجج لتحقيق القصد والتأثير في الطرف المقابل وإقناعه بقوة الحجة ؛ فيستهل المتكلم الحوار التفاعلي الحجاجي بملفوظ تقريري (الطريق لم ينته)، مبرزًا يأسه من تلك الطريق الممتدة، مؤكدً على تعبه بملفوظ تقريري (لقد تعبتُ) ، متوسلا (اللام ، قد)لإبراز شدة التعب الذي ألم به، لينجح في التأثير في المتلقي الذي يتفاعل بدوره ويرد بملفوظ إنجازي موظفًا فعلا إنجازيًا غير مباشر، الأمر، بلفظ الوجوب(يجب أن نستمر)و لدفع حالة اليأس عن صديقه، يبرز الاشتراك بينهما في الفعل (نستمرُ)، ولتقوية موقفه وإقناع صديقه بالاستمرار استعمل ملفوظًا إنجازيًا ، من التعبيرات (أحس أن نهايته ستكون قريبة) ليبث في قلبه الأمل وليضمن قوة تأثير حجته تلك وظف السين المقترنة بالفعل المضارع (ستكون)لطمأنته بقرب الخلاص ، ليفصح المتلقي في ملفوظه التقريري، الذي يدفع فيه حجة رفيقه متحججًا بتعارض شعوره مع شعور رفيقه ويصر على التأكيد على بعد نهاية الطريق ويقر بتعبه المتواصل .

لنلمس تغيير المتكلم لاستراتيجياته في الحوار فيستعمل المتلقي ملفوظًا إنجازيا مباشرًا ،أمر، (اشرب اشرب ، تكاد تموت ظمأ) الذي حمل قوة مستلزمة هي التخويف وتدرك من المقام والسياق اللغوي وربط الملفوظات ببعضها ، وهو ما عبر عنه أوريكوني (**k•orecchioni**) بكتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها [45] ، فقد يعبر عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقوله مستثمرًا في ذلك عناصر السياق [46]، فنجد المتلقي يرد بملفوظ إنجازي (لا تخش علي صديقي، أنا صنديد ، وطريقي يجب أن أقطعه) مستعملاً النهي بصيغته الأصلية المتمثلة في لا الجازمة مقترنة بالفعل (المضارع (لا تخش) تكمن قوته المستلزمة في تخويف المتكلم بالانفصال بعدما كان يتحدث بصيغة الجمع والاشتراك بينهما، فقد استعمل ضمير المتكلم المفرد (أنا) لينجز فعلًا تأثيريًا وأحال بالضمير المتصل على ذاته (طريقي ، أقطعها) لإنجاز فعل تأثيري واقناع المتلقي بمواصلة الطريق وإلا أصبح وحيدًا ، ونلمس تحقق تلك المقاصد في رد المتلقي بالملفوظ المؤكد بالتكرار (لا تقل هذا) وذلك راجع لقوة الحجج التي وظفها المتكلم واعتماد الافعال الإنجازية للتأثير في المتلقي واقناعه .

فقد أفصح المتكلم بتغيير موقفه مبرزًا حججًا تعلل ذلك فرغم إقراره بحقيقة أن (لانهاية لهذا الطريق) يوظف رابط التعارض الحجاجي (لكن) ويقدم حججًا تبرر ذلك (طريقنا معا)، (وسنقطعه معًا)، وليقوي موقفه ويقنع رفيقه بما يزعم يقدم الحجة الأقوى (نصل إلى الهدف) مستعملا أحد الروابط التي تدرج الحجج القوية (حتى)، ويدعم حججه بتأكيد ارتباطه بصديقه وإصراره على مرافقته ، موظفًا الاستراتيجية التضامنية بتوظيف ضمير الجمع المتصل في (طريقنا)، وضمير الجمع في الفعلين (سنقطعه ، نصل)، و لفظ المعية(معًا) لإبراز اللحمة بينهما. وهذا يؤكد أن الخطاب المسرحي يخضع لمقاصد المتكلم ؛ الذي يعتمد استراتيجيات تتماشى وتلك المقاصد ، مستغلًا أدوات اللغة ، فيُنتج ملفوظات تنسجم وتلك المقاصد.

و ليحقق المتكلم قصده لاقح المبدع في ملفوظات تقريرية آليات حجاجية بلاغية وأفعال كلامية إنجازية نحو:

« **تلاعب أترابك من الشيوخ الذي حرث الدهر أبدانهم. . اللعنة، لم تتركني أنام ،كأن أظفارك منشار صدئ.**»[47]، فقد يوظف الاستعارة الحجاجية التي أسعفته ليُبلغ المعنى في قليل اللفظ ،و لتقوية الصورة في ذهن المتلقي و إقناعه والتأثير فيه وجدانيًا وسلوكيًا ؛ أو يحيلنا المتكلم بتشبيه يقرب الصورة للمتلقي ويقوي ملفوظه ويدعمه بقوة حجاجية فيكون مقنعًا ومؤثرًا ، حيث شبهت الزوجة في الملفوظ الأول الدهر وتعاقب أيامه بشيء مادي وهو المحراث الذي يترك أثره على سطح الأرض مستعيرة بذلك الفعل حرث كلازمة من لوازم المشبه به

المحذوف مشبهة الأثر المنظور الذي يتركه الزمن على أجساد الشيوخ كخطوط مرور المحراث على ظاهر الأرض ، فرُسمت الصورة في ذهن المتلقي فساهمت الإستعارة في أن يكون المعنى قويًا والكلام بليغًا، قصد إحداث فعل إنجازي وهو التأثير في سلوك ذلك الزوج ويراجع تهميش تلك الزوجة التي غدت تحس بوحدة الشيخوخة تنهش أيامها ،كما نجد في الملفوظ الثاني المتكلم يوظف فعلًا إنجازيًا غير مباشر، من التعبيرات (اللعنة)، مخاطبًا المتلقي الذي سلب راحته وأفقده نعمة النوم العميق ، ولتحقيق مقاصد إقناعية شبه أظافر المتلقي بمنشار ولتقوية المعنى قرنه بصفة (صدئ) لينقل للمتلقي صورة بليغة تعبر عن حجم الإزعاج الذي يسببه لتحسيسه بالذنب ،وبذلك فاللغة تُسعف المتكلم بأدواتها ليتخير ما يلائم مقاصده ويُبلغه أهدافه .

4.خاتمة:

ومن خلال المقال الموسوم بـ : "الحوار المسرحي بين الإنجاز الكلامي والبعد الحجاجي مسرح اللحظة لعز الدين جلاوجي أنموذجًا " يمكننا أن نورد النتائج الآتية اختصارًا:

1. الخطاب المسرحي في« مسرح اللحظة » خطاب تداولي يعكس بشكل جلي الاستعمال الفعلي للغة، تنوعت أنماط التعبير فيه بتنوع المتخاطبين، فقد تشكل من الحوار التفاعلي اللفظي، بين قطبي العملية التخاطبية (المتكلم ،المتلقي) عبر التداول التواصلي على الإرسال والتلقي.

2. عكس الحوار الاستراتيجيات التخاطبية المختلفة، والتي يتبناها المتكلم فتأتي الصيغة منسجمة مع المقاصد و السياق اللغوي والمقامي؛ فبدى ذلك في تخيره أنماط التعبير وطرائق القول، وكانت قوة المنطوقات الإنجازية ركيزة لبناء المعنى ،كيفها المتكلم بتوسل الأدوات اللغوية المختلفة تبعًا للمقاصد ومقتضى الحال ،مما أفضى غالبًا لتبليغ الرسالة وبلوغ الغاية التواصلية .

3. كان حضور الأفعال الكلامية الغير مباشرة في الحوار المسرحي قويًا ومؤثرًا ،ومرده القوى الإنجازية المستلزمة الخاضعة لمقاصد المتكلم ؛حيث خرجت الأساليب الخبرية والإنشائية عن معانيها الحرفية إلى معانٍ ثانوية، يستشفها المتلقي الحذق من السياق اللغوي والمقام االتخاطبي .

4. ساهم نمط الحوار في إبراز ملامح طرفي العملية التخاطبية، وسمات العلاقات المتباينة التي تجمعهما ،كما أسهمت كفاءة المتكلم التواصلية ، والتلاؤم بين القصد والمقام وما تضمنه الخطاب المسرحي من ربط قصدي بين العناصر، وكفاءة المتلقي المفترضة لإيجاد الصلات الظاهرة والخفية في الخطاب، في نجاح الخطاب الحجاجي الإقناعي ، وتحقق المقاصد الصريحة و الضمنية.

5. غلب الطابع الحجاجي على حوار مسرح اللحظة، بشكل يعكس كفاءة المتكلم التواصلية، فوُظفت الاستراتيجية التأثيرية والتضامنية في جل المسرديات، سعياً للتأثير على المتلقي، وأفكاره والمعتقدات التي يتبناها، فاستعملت الأفعال الإنجازية والآليات الحجاجية اللغوية خصوصًا، كما وظفت الآليات الحجاجية البلاغية الأقوى تأثيراً في النفس، فتضمن الخطاب حججًا متدرجة و متعالقة تتباين قوتها تبعاً لمقاصد المتكلم، وبناء على ماعُرض يمكننا نعت خطاب مسرح اللحظة بأنه توجيهي تأثيري تأسس على الحجاج الإقناعي والفعل الإنجازي التأثيري خصوصًا؛ فهو يرنو إلى التأثير الإيجابي وتقويم ردود الأفعال والسلوك عمومًا .

5. الهوامش:

[1].P.grice ,logique et conversation, communiations,n30,ED SEUIL,1979

نقلا عن : حافظ ابراهيم التداوليات علم استعمال اللغة ،عالم الكتب الحديث ،اربد ،الأردن 2014م، ص 21.

[2].إلفي بولان ، المقاربة التداولية للأدب، ترجمة محمد تنفو، ليلى احمياني، مراجعة وتقديم سعيد جبار، رؤية للنشر والتوزيع ، د ط، 2018م، ص 52.

[3]. ينظر: جيني توماس ،المعنى في لغة الحوار ، مدخل إلى البراجماتية (التداولية)، ترجمة نازك إبراهيم عبد الفتاح، ط1،2010م ، ص234.

[4].حضرتي وحضراته، ص23.

[5].حضرتي وحضراته، ص 20.

[6].عبد السلام محمد هارون ،الأساليب الإنشائية في النحو العربي مكتبة الخانجي القاهرة ، ط5 ،2001م ، ص13.

[7].الزيف، ص 108.

[8].أبو النصر الفارابي، كتاب الحروف، تحقيق محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ط2، 1990م، ص162. 163.

[9]. ينظر: حافظ ابراهيم، التداوليات علم استعمال اللغة ،عالم الكتب الحديث ،اربد ،الأردن 2014م، ص51.

[10]. ينظر: جاك موشلر ،آن ريبول القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الباحثين ، إشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا، تونس، د ط ،ص 46،82.

[11]. ينظر: قدور عمران ،البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ،عالم الكتاب الحديث ،إربد ،الاردن ، ط1 ،2012م، ص49.

[12]. معاذ بن سلمان الدخيل ، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية، دار محمد علي الحامي، ط1 ، 2014 ، ص 39.

[13]. عزيزي، ص 115 .

[14]. المتاهة ، ص30 .

[15]. ينظر: خليفة بوجادي، المرجع السابق ، ص78 .

[16]. المتاهة،29.

[17]. و أنا ، ص35.

[18]. الطريق، ص15.

[19].أبو بكر العزاوي ،اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع، ط1، 2006م، ص121.

[20]. حافظ ابراهيم ،التداوليات علم استعمال اللغة ،عالم الكتب الحديث ،اربد ،الأردن 2014م، ص 97.

[21]. إلفي بولان ،المرجع السابق ، ص44، 45.

[22]. أوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة ، كيف ننجز الأشياء بالكلمات ، ترجمة عبد القادر القينيني ، أفريقيا الشرق ، د ط ، 1991م،ص 40.

[23]. الطريق، ص 18.

[24]. حضرتي وحضراته، ص26 .

[25].حافظ ابراهيم، التداوليات علم استعمال اللغة ،عالم الكتب الحديث ،اربد ،الأردن 2014م، ص99.

[26]. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء والعرب ، دار الطليعة بيروت، ط1 ،2005م ، ص 42.

[27]. الأحدب، ص 53.

[28]. نواري سعودي أبو زيد ، في تداولية الخطاب الأدبي ،المبادئ و الإجراء ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، ط1، 2009م، ص 28.

[29]. ينظر: قدور عمران ، المرجع السابق، ص60، 61.

[30]. المتاهة ، ص 30.

[31]. الطريق ، ص18،19.

[32]. حضرتي وحضراته ، ص 23.

[33]. و أنا، ص 37.

[34]. المتاهة، ص 30.

[35]. عزيزي ،ص 116 .

[36]. عمر بلخير، المرجع السابق، ص160 .

[37]. المتاهة ، ص 31.

[38]. الأدوار، ص 94.

[39]. ينظر:عمر بلخير، المرجع السابق، ص 121 ، 122 .

[40]. أبو بكر العزاوي ، المرجع السابق، ص27.

[41]. طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، د ط 1998م ، ص 250.

[42]. الحنين ، ص 65.

[43].نفس الصفحة السابقة .

[44]. الطريق، ص 14 ،15.

[45]. مسعود صحراوي، المرجع السابق ، ص 42.

[46]. عبد الهادي بن ظافر الشهري ، المرجع السابق ، ص370.

[47]. السجين ، ص64.